IUGJEPS
Vol 29, No 2, 2021, pp 211 -236

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (19-04-2020)، تاريخ قبول النشر (13-06-2020)

الوحدة الموضوعية في السور التي تبدأ بالنداء الكريم: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ في القرآن الكريم

اسم الباحث الأول: د. محمد خير محمد سالم العيسى

اسم الباحث الثاني: د. الليث صالح عتوم

اسم الباحث الثالث: يامن محمد صرصور

[1] اسم الجامعة والبلد: قسم أصول الدين - كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة العلوم الإسلامية العالمية -الأردن

[2] اسم الجامعة والبلد:

[3] اسم الجامعة والبلد: باحث في الدراسات الإسلامية

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: dallaithotoom@yahoo.com

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.29.2/2021/7

الملخص:

ينتمي البحث إلى التفسير الموضوعي، ويبحث أساسا في التناسق الموضوعي في السور التي افتتحت بالنداء الكريم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ وهي ثلاث سور في القرآن الكريم (سورة الأحزاب، والطلاق، والتحريم)، يتطرق البحث إلى دلالات النداء بـ ﴿ يا أيها﴾ لغة، ثم يبحث في السياقات القرآنية التي ورد فيها النداء ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ و ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ و ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ من حيث المواضيع، ثم يجمع الآيات التي افتتحت ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ليبين الموضوعات التي اشتركت فيها ودلالة ذلك، ثم يصل إلى لبّ موضوع البحث وهو السور الثلاث المذكورة، فيحاول الوصول إلى موضوع جامع بينها تنظمه آياتها، وقد رأينا أن الموضوع الذي يصلح أن يكون موضوعا جامعا لهذه السور هو الحديث عن إنشاء أمة قوية متماسكة، من خلال عدد من الأدوات وهي:

أولاً: إصلاح الفرد والأسرة وإدارة المجتمع إدارة سياسية صحيحة.

ثانياً: إيجاد قدوات فكرية ودينية مؤثرة وداعمة لقوة الأمة.

ثالثاً: تأسيس جبهة قوية قادرة على حماية الأمة من الخارج (الطليعة المجاهدة).

ويخلص البحث إلى أن السور الثلاث تعالج هذا الموضوع الخطير بدقة وإحاطة.

كلمات مفتاحية: سورة الأحزاب والطلاق والتحريم، التفسير الموضوعي، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ.

The objective unity in the surah that begins with the noble call: {O Prophet!} In the Noble Qur'an

Abstract:

This research belongs to the objective interpretation, it focuses on the objective consistency in the Suras that begin with "O prophet" which is three Suras in the Quran; (AlAhzab, AlTalaq and AlTahreem). The research addresses the call indication of "O" linguistically, then studies the qur'anic contexts that this terminology came in from the subjective perspective. After that it summarizes the Suras that begin with" O prophet" to indicate the subjects they share. Then it reaches to the heart of the research which is the three prementioned Suras. As it tries to reach to a comprehensive subject between the three Suras as its verses are structured with. And we saw that the subject that fits the most to be comprehensive for these Suras is: "To talk about creating a strong and cohesive nation, through a number of tools, which are: reforming the individual, family and society, managing the society in a political way of management, finding influential intellectual and religious role models that support the strength of the nation, and establishing a strong front capable of protecting the nation from the outside (the vanguard of the Mujahideen)

The Research can be summarized that the three Suras handles this important topic seriously careful and briefed.

Keywords: (Surat AlAhzab, AlTalaq and AlTahreem), objective interpretation, O prophet.

المقدمة:

وبعد: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا وقائدنا محمد ﷺ

فإن البحوث التي تبحث في الوحدة الموضوعية في آيات الله تبارك وتعالى، تبعث الباحث والقارئ على مزيد التدبر في آيات الله تعالى، وإن المتدبر في آيات الله لا يزال يرجع بمزيد الهبات والعطايا والفتوح التي لا تنضب، وهذا القرآن – الذي لا يخلق على كثرة الرد – لا تنتهي عجائبه ولا ينقضي منه عجب البلغاء الفصحاء!

إن النظر في الوحدة الموضوعية القرآنية أمر يحتاج إلى صفاء ذهن وطول صحبة للقرآن وتمرس على أساليبه، وكل هذا يسبغ على هذا العلم صبغة ذاتية، ولكن التزام المتدبر بقواعد البلاغة والبيان العربية وأصول التفسير المضبوطة يعطي لهذا العلم صبغة الموضوعية، ولا ينقضي عجبي – شخصياً – من تلازم الذاتي مع الموضوعي في القرآن الكريم وصحة توصيل مقاصد القرآن في كل من القراءتين بالرغم ما بينهما من بون في الأسلوب وتحتم ما ينبني عليه من نتائج، ستبدو – حتماً – في غير القرآن متعارضة متخالفة !

بالنسبة لي فإني أعد هذه الخاصية من أقوى وأوجه وجوه إعجاز القرآن الكريم.. !

وقد ذقت من حلواء هذه الخاصية خلال هذا البحث الشيء الكثير الوافر والحمد لله، فقد ترجع إلى ما كتب الكاتبون فتراه جميلا وافياً فإذا أمعنت التدبر وجدت عندك – مع قصر كعبك وإقرارك بسابقتهم وفضلهم – وجدت عندك مزيداً على ما قالوا، واحتاج الأمر إلى إكمال عباراتهم بما لاح لك من الآية !!

هذه واحدة وأما العجيبة الأخرى: فإنك قد تقبل على القرآن مشحوناً بهم فتتدبر الآيات فينكشف لك فيها أفق تراه وثيق الصلة بما يشغلك، ثم تعود للآيات نفسها بهم وشغل آخر فتسفر لك الآيات عن وجهة أخرى ترى فيها جواباً عن حيرتك الأخرى، وهنا الآيات نفسها والمتدبر نفسه ولكنه نظر إلى الآيات من زاوية أخرى !

فالآية الواحدة كالجوهرة متعددة الوجوه لأي وجه نظرت منها أبهرتك بمنظر مهيب جميل تكاد تقول: لا مزيد على حسن هذا ! فإذا رأيت منها وجها آخر أدركت أنك أمام كلام ليس ككلام البشر !

من هنا يمكن لنا أن ندرك الاجتماع الذاتي والموضوعي في نفس الوقت في قراءة نفس النص، إدراكاً نتذوقه وقد لا نستطيع التعبير عنه ! لم لا، فنحن نتعامل مع كلام الله لا مع شيء مما كتبه وقاله البشر.

إنَّ ما وصلت إليه في بحثي هذا اجتهاد ذاتي النظر، حرصت فيه ما استطعت على التقيد بضوابط علم التفسير، ورجعت فيه إلى مراجع هذا الشأن.

وقد كانت غايتي التنقيب عن سر افتتاح سور ثلاث من القرآن الكريم بنداء كريم موحد وهو (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ)، افترضت أن بين هذه السور الثلاث أمر جامع وسر ما، ثم رجعت إلى الآيات التي اشتملت على هذا النداء فوجدتها خمس عشرة آية في سياقات وموضوعات مختلفة، فوسّعت البحث ليشملها.

أولا: أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من كونه مدارسة جادّة لكتاب الله، مستفيدة مما سبق وكتب في تفسير القرآن الكريم، محاولة البناء عليها للوصول إلى فضاء جديد في سماء تدبر آيات القرآن الكريم، موظّفة النكت البيانية لخدمة الفرضية المشار إليها في المقدمة.. والبحث في كل الأحوال تطبيق لما توصل إليه علماء التفسير من نظريات في الوحدة الموضوعية لآيات وسور القرآن الكريم، وتوجيه لإعمال النظر في آيات وسور القرآن للوصول إلى نتائج حية جديدة تخدم وحدة القرآن الموضوعية.

وبما أن المكتبة الإسلامية مازالت تعاني من فقر وشحّ في الكتابات في هذا الموضوع، فإن هذا البحث – وأمثاله من الدراسات الموضوعية – يعتبر إثراء للمكتبة إما بالأصالة – إن وَجد القارئ فيه القيمة العلمية التي ينشدها – أو بالتبع بأن تحدث هذه البحوث والدراسات جواً من النقد العلمي الهادف الذي يؤدي إلى النضوج في هذا المجال الجديد – نسبياً –.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

1-شغل موضوع التدبر في آيات القرآن الكريم والغوص للبحث عن أسراره وخفاياه اهتمام الباحثين قديماً وحديثاً.. فألّف فيه الكثير من المؤلفات، وبالرغم من توفر هذا الاهتمام إلا أنَّ غور القرآن بعيد عصي على الإحاطة به، فلا يزال خصباً منتظراً مزيداً من البحث لاستخراج المزيد من الدرر.

2-إنَّ توجيه المسلمين إلى القرآن الكريم تلاوةً وحفظاً وفهماً وتدبراً واجب المختصين الأول في هذا الزمن، والكتابة في التفسير الموضوعي تفتح آفاقاً جديدة تربط الآيات بالواقع، وتنطلق منه.

3-بما أن ترتيب القرآن الكريم – آيات وسوراً – توقيفي من عند الله تبارك وتعالى؛ لا يخلو شيء منها من فائدة وحكمة، فلا جرم كان اشتراك ثلاث سور في نفس الفاتحة موجه لملاحظة الباحث وتساؤلاته عن الحكمة والفائدة.

4-جدة التفسير الموضوعي وافتقار المكتبة الإسلامية لبحوث رائدة في هذا النوع من التفسير.

ثالثاً: مشكلة البحث:

يحاول الباحث أن يجيب في هذا البحث عن التساؤلات التالية:

1-ماذا قال المفسرون عن السور الثلاث، تمهيداً وتوطئة للبحث؟

2-ما هو المقصد العام الذي تتحدث عنه السور الثلاث؟

3-ماهي المواضيع الفرعية المشتركة في السور الثلاث، وكيف خدمت المقصد العام من السور الثلاث؟

4-ما العلاقة بين أسماء السور الثلاث والمقصد العام؟

5-ما علاقة سورة الأحزاب – تحديداً – بالمقصد العام وبسورتي الطلاق والتحريم؟

رابعاً: أهداف البحث:

1-إظهار أسرار صيغة النداء ب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ .

2-تقسيم كل سورة إلى موضوعات فرعية "مقاطع".

3-التوصل للأفكار الرئيسية لكل من السور الثلاث.

4-محاولة الوصول إلى فكرة رئيسية جامعة لأفكار السور الثلاث.

5-البحث في الآيات التي تبدأ بالنداء الكريم ب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ والتعرف على موضوعاتها ضمن سياق السور التي وردت فيها.

6-الربط بين أسماء السور وموضوعاتها الرئيسة.

7-التفصيل في الكلام حول سورة الأحزاب لورود النداء فيها خمس مرات.

خامساً: الدراسات السابقة:

لم أعثر على دراسات مختصة سابقة في هذا الموضوع تحديداً وإن كانت بعض مكونات الموضوع الرئيسية موجودة مطروقة في الكتب والبحوث التي بحثت في التفسير الموضوعي عموماً.

سادساً: محددات الدراسة:

سيتناول الباحث الآيات التي وردت فيها صيغة النداء ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ في القرآن الكريم في بحثه، ثم يخصص بحثه في السور التي افتتحت بهذا النداء الكريم، متلمساً الوحدة الموضوعية في السور الثلاث، ويتطرق – بالتبع – إلى الآيات التي نادى الله فيها نبيه: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ أو ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ أو ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ .

سابعاً: المنهج المتبع في الدراسة:

اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي والمنهج الاستقرائي:

فقد استقرأت جميع الآيات التي ورد فيها النداء الكريم، وأوفيت النظر والتدبر في الآيات التي وردت في السور التي ابتدأت بالنداء الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ أو النداءات الأخرى الخاصة بالنبي بالأوصاف الأخرى.

ثم حللتها تحليلاً أدبياً وبلاغيا لأتوصل من خلالها إلى المقاصد والغايات، محاولاً ربط بعضها ببعض للوصول إلى الموضوعات الخاصة وصولاً إلى الموضوع الرئيس الجامع للسور الثلاث.

ثامناً: خطة الدراسة

جاء البحث ضمن ستة مباحث يحتوي كل مبحث على مطالب على النحو التالي:

المبحث الأول: دلالات صيغة النداء ب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾.. وفيه مطالب:

المطلب الأول: دلالة صيغة النداء ب ﴿ يا أيها﴾.

المطلب الثاني: تحليل السياقات التي ورد فيها النداء بغير صيغة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾.

المطلب الثالث: تحليل السياقات التي ورد فيها النداء ب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾

المطلب الرابع: دلالة النداء ب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾.

المبحث الثاني: الموضوع الجامع للسور الثلاثة التي افتتحت بالنداء الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾

المبحث الثالث: موضوعات سورة الطلاق، وفيه مطالب:

المطلب الأول: المحور الرئيس في سورة الطلاق وعلاقته بالنداء الكريم.

المطلب الثاني: المحاور الجانبية الخادمة للمحور الرئيس في السورة.

المطلب الثالث: علاقة الموضوع الجامع للسور الثلاث بمحاور السورة.

المبحث الرابع: موضوعات سورة التحريم، وفيه مطالب:

المطلب الأول: المحور الرئيس في سورة التحريم وعلاقته بالنداء الكريم.

المطلب الثاني: المحاور الجانبية الخادمة للمحور الرئيس في السورة.

المطلب الثالث: علاقة الموضوع الجامع للسور الثلاث بمحاور السورة.

المبحث الخامس: موضوعات سورة الأحزاب، وفيه مطالب:

المطلب الأول: المحور الرئيس في سورة الأحزاب وعلاقته بالنداء الكريم.

المطلب الثاني: المحاور الجانبية الخادمة للمحور الرئيس في السورة.

المطلب الثالث: علاقة الموضوع الجامع للسور الثلاث بمحاور السورة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

المبحث الأول: دلالات صيغة النداء ب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ في القرآن الكريم وفيه مطالب:

المطلب الأول: دلالة صيغة النداء (يا أيها):

يقسم العلماء أدوات النداء إلى أدوات نداء للبعيد وأدوات نداء للقريب قال في شرح الشافية الكافية: " الحروف التي ينبه بها المنادى عند البصريين خمسة: {يا} و {أيا} و {هيا} و {أيْ} الهمزة:

1- فمذهب سيبويه (أخذ النحو عن عيسى بن عمر ، ويونس بن حبيب ، والخليل ، وأبي الخطاب الأخفش الكبير ،عاش اثنتين وثلاثين سنة ، وقيل : نحو الأربعين . قيل : مات سنة ثمانين ومائة وهو أصح ، وقيل : سنة ثمان وثمانين ومائة. انظر: (الذهبي ، 1985 ، (8) ص 352)). أن الهمزة وحدها للقريب المصغي، وغيرها للبعيد مسافة، أو حكمًا .

2- ومذهب المبرد (هو إمام النحو أبو العباس ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي ، البصري ، النحوي ، الأخباري ، صاحب " الكامل " . أخذ عن : أبي عثمان المازني ، وأبي حاتم السجستاني . مات المبرد في أول سنة ست وثمانين ومائتين . انظر: (الذهبي ، 1985 ، (13) ص 577))، ومن وافقه أن "أيا" و"هيا" للبعيد، و "أي" والهمزة للقريب، و "يا" لهما.

3- وزعم ابن برهان (هو شيخ العربية ، ذو الفنون أبو القاسم ، عبد الواحد بن علي بن برهان العكبري . سمع الكثير من : أبي عبد الله بن بطة ، ولم يرو عنه .وذكره الخطيب في تاريخه فقال كان مضطلعا بعلوم كثيرة [ص: 125] منها : النحو ، والأنساب ، واللغة ، وأيام العرب والمتقدمين ، وله أنس شديد بعلم الحديث مات في جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وأربعمائة وقد جاوز الثمانين . انظر: (الذهبي ، 1985 ، (18) ص 124)) ، أن {أيا} و{هيا} للبعيد، والهمزة للقريب و{أي} للمتوسط، و{يا} للجميع (الطائي ، 1982 ، (3) ص 128 . وانظر : ابن الوراق ، 1999 ، ص 347 ، وأيضا : المالكي ، 2008 ، (2) ص 1051.).

فها نحن نراهم يختلفون في (أي) على أقوال فسيبويه يراها للبعيد – حكماً أو حساً – والمبرد يراها للقريب، بينما يراها غيرهما للمتوسط ! وكأن المعنى المكتسب منها إنما يحدده السياق ويوجهه الذوق !

أما (يا) فكأنهم يتفقون على أنها للبعيد والقريب – مطلق النداء –.

وأما الجمع بينهما (يا أي) فقد ورد في القرآن الكريم في عدة مواضع مختلفة السياقات فجاءت : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ و ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ و ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ و ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ و ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ و﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ ﴾ و ﴿يا أيها العزيز﴾ و ﴿ يا أيها الذي نزل عليه الذكر ﴾ و ﴿ يا أيها الرسل ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون ﴾.

فهذه المواضع كما ترى يختلف فيها المنادون وتختلف فيها الأغراض، ولكن يلاحظ – من خلال استقراء النصوص مع سياقاتها فهذه هي المواضع كلها من القرآن الكريم التي اشتملت على النداء (يا أيها) – أنه يجمع بينها عدة أمور:

1- أهمية الموضوع الذي تتحدث عنه الآيات.

2- إرادة الإعلان وبثّ الموضوع على أوسع نطاق.

3- أسلوب الخطاب الجماهيري الذي يتميز بالفخامة وتكتنفه المهابة.

4- نلاحظ أيضا أن هذه المواضع – كلّها – كان المنادي فيها أعلى شأناً من المنادى – ولو ظنا من المنادي: كما في قولهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾. (سورة الحجر : 6)

ما يخصنا من هذه النداءات النداء ب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾.. ولكن قبل البدء بالكلام حوله سنتحدث عن موضعين وَرَد فيهما النداء بـ ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ وآخرين وَرَدَ فيهما النداء ب ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ و ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ لقربها من موضوع بحثنا:

المطلب الثاني: تحليل السياقات التي ورد فيها نداء النبي بغير صيغة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ :

ورد النداء ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ في موضعين من سورة المائدة وهما:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة المائدة : 41) .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة المائدة : 67) .

والمتأمل في هذين السياقين يجد أنهما يخاطبان الرسول ﷺ بصفته الرسمية – إذا جاز لنا التعبير – أي من حيث هو رسولٌ مكلفٌ بأداء وتبليغ رسالته، دون الحديث عن الأحكام الشرعية وتطبيقها، ودون الحديث عن مواساته، وعن حياته الخاصة والعامة كما جاء في النداء بـ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، قد يقول قائل: فأمره بالرسالة تكليف شرعي، وقوله لا يحزنك مواساة له، والجواب: هذا صحيح، ولكن خطابه بالرسالة في هذين الموضعين يشعر بتخصصه بها وتمحيض وظيفته بتبليغ الرسالة، وهذا يعطي مزيد اهتمام بأمر الرسالة والمبالغة في تبليغها على وجهها، كما أن الخطاب بالأسلوب الرسمي يعطي صرامة في فرض الأمر.. وكأنَّ هذا الأمر لا يحتمل الاجتهاد ولا التهاون، وأمّا قوله (لا يحزنك..) فهي وإن كانت في ظاهرها تحمل المواساة إلا إنها تبين وتوضح وظيفته من حيث هو رسول، والنداء فيها وإن كان رسمياً ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ إلا أن السياق يعود بالحنوِّ على الرسول ومواساته ! وهذا من عجيب بيان القرآن الكريم، فهو وإن خاطب النبي بالصيغة الرسمية الوظيفية التكليفية؛ فسرعان ما يعقبها بالمواساة واللّين عليه، بياناً لحب الله له واعتنائه بشأنه ﷺ ولا يخفى ما في ذلك من مكانته ﷺ عند ربه.

هناك أيضا سورتان افتتحتا بنداء النبي ﷺ، ولكن ليس بلفظ النبوة أو الرسالة وهما سورتا المزمل والمدثر، وسندرس هاتين السورتين من حيث سر افتتاحهما بهذين النداءين وعدم النداء بالنبوة والرسالة وهاتان السورتان مكيّتان :

أولاً: سورة المزمل من أوائل ما نزل من القرآن الكريم فهي مكية (الطبري ، 2000 ، (23) ص 676 . وانظر: الماوردي ، (د.ت)، (6) ص 125 . والثعلبي ، 2002 ، (10) ص 59)، إذن وإن اختلفوا في الآية الأخيرة منها.

قال الطبري: "عن سعيد (هو سعيد بن جبير ، روى عن ابن عباس فأكثر وجوّد ، وعن عبد الله بن مغفل ، وعائشة ، وعدي بن حاتم ، وأبي موسى الأشعري في سنن النسائي ، وأبي هريرة ، وأبي مسعود البدري – وهو مرسل – وعن ابن عمر ، وابن الزبير ، والضحاك بن قيس ، وأنس ، وأبي سعيد الخدري . وقرأ القرآن على ابن عباس . قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء وطائفة . وحدث عنه أبو صالح السمان ، وآدم بن سليمان والد يحيى ، وأشعث بن أبي الشعثاء ، وأيوب السختياني وبكير بن شهاب ، وثابت بن عجلان ، وغيرهم . انظر: الذهبي ، 1985 ، (4) ص 322)، قال: لما أنزل الله على نبيه: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ قال: مكث النبيّ ﷺ على هذا الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره الله، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه، فأنزل الله عليه بعد عشر سنين فقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾ (سورة المزمل : 20) ... إلى قوله: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ فخفَّف الله عنهم بعد عشر سنين." (الطبري ، 2000 ، (23) ص 676) .

هكذا فرض قيام الليل بشكل صارم واستمر إلى أن جاء التخفيف بعد عشر سنين أو بعد سنة أو بعد أن تورّمت أقدامهم في بعض الروايات .

أمّا عن معنى المزمل:

قال الطبري: " فعن قتادة (هو قتادة بن دعامة السدوسي ، روى عن عبد الله بن سرجس ، وأنس بن مالك ، وأبي الطفيل الكناني ، وسعيد بن المسيب ، وأبي العالية رفيع الرياحي ، وصفوان بن محرز وأبي عثمان النهدي ، وزرارة بن أوفى ، والنضر بن أنس ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وأبي المليح ابن أسامة ، والحسن البصري ، روى عنه أئمة الإسلام أيوب السختياني ، وابن أبي عروبة ، ومعمر بن راشد ، والأوزاعي ، ومسعر بن كدام ، وعمرو بن الحارث المصري ، وشعبة بن الحجاج ، وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع ، فإنه مدلس معروف بذلك ، وكان يرى القدر ، نسأل الله العفو . ومع هذا فما توقف أحد في صدقه ، وعدالته وحفظه ، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه ، وبذل وسعه ، والله حكم عدل لطيف بعباده ، ولا يسأل عما يفعل . انظر: (الذهبي ، 1985 ، (5) ص 269)): ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ أي المتزمل في ثيابه.

عن عكرمة (هو العلامة ، الحافظ ، المفسر ، أبو عبد الله القرشي ، مولاهم المدني ، البربري الأصل . قيل : كان لحصين بن أبي الحر العنبري ، فوهبه لابن عباس . حدث عن ابن عباس ، وعائشة ، وأبي هريرة ، وابن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وعقبة بن عامر ، وعلي بن أبي طالب ، وذلك في النسائي ، وأظنه مرسلا ، وصفوان بن أمية ، والحجاج بن عمرو الأنصاري ، وجابر

بن عبد الله ، وحمنة بنت جحش ، وأبي سعيد الخدري ، وأم عمارة الأنصارية ، وعدة . وعن يحيى بن يعمر ، وعبد الله بن رافع . قال ابن المديني : سمع من عائشة ، وأبي هريرة ، وأبي قتادة ، وعبد الله بن عمرو ، وابن عمر . حدث عنه إبراهيم النخعي ، والشعبي ، وماتا قبله ، وعمرو بن دينار ، وأبو الشعثاء جابر بن زيد ، وحبيب بن أبي ثابت ، وحصين بن عبد الرحمن ، والحكم بن عتيبة ، وعبد الله بن كثير الداري ، وعبد الكريم الجزري ، وعبد الكريم أبو أمية البصري ، وعلي بن الأقمر ، وقتادة ، ومطر الوراق ، وموسى بن عقبة ، انظر: (الذهبي ، 1985 ، (5) ص 13))، في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلا﴾ قال: زُملت هذا الأمر فقم به.

قال أبو جعفر (الطبري): والذي هو أولى القولين بتأويل ذلك، ما قاله قتادة؛ " (الطبري ، 2000 ، (23) ص 676) .

وأياً كان المعنى فهو يفيد بضرورة تأهب النبي وتنبيهه إلى خطورة وأهمية ما سيقدم عليه من شأن النبوة.

ثانياً: سورة المدثر فقد ورد أنها أول ما نزل على الإطلاق فعن جابر رضي الله عنه:

" سمعت يحيى، يقول: سألت أبا سلمة أي القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، فقلت: أو ﴿ اقرأ﴾؟ فقال: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، فقلت: أو اقرأ؟ قال جابر: أُحدّثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ، قال: " جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أرَ أحدا، ثم نوديت فنظرت فلم أر أحداً، ثم نوديت فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء – يعني جبريل عليه السلام – فأخذتني رجفةً شديدةً، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني، فدثروني، فصبوا علي ماء، فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر﴾ سورة المدثر (2) " (النيسابوري ، (د.ت) ، (1) ص 144 برقم 257).

مع أن الصحيح هو ما روي عن عائشة في قصة بدء الوحي الثابتة أنَّ أول ما نزل هو: قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (سورة العلق : 1)، ومع هذا فإنَّ المتفق عليه أن سورة المدثر من أوائل ما نزل من القرآن الكريم وهو – بلا شك – مما دعت سورة المزمل بالاعتناء بآياتها تدبراً وعملاً..

والمدثر هو المتدثر أي المتغطي، والسورتان تفتتحان بنداء يدعوا إلى بذل الجهد والعمل، سواء في مجال قيام الليل والتهجد أو في مجال الدعوة إلى الله ومصابرة المعاندين

قال الثعلبي رحمه الله : " وقالت الحكماء : إنّما خاطبه بالمزمل والمدثر في أوّل الأمر ؛ لأنّه لم يكن أدّى بعد شيئاً من تبليغ الرسالة". (الثعلبي، 2002 ، (10) ص 59).

نقول وبالله التوفيق:

اتفق المفسرون على أن سورتي المدثر والمزمل – على خلاف في الآية الأخيرة من سورة المزمل – مكّيتان، بل هما من أول ما نزل على النبي ﷺ من القرآن الكريم عموماً، وهاتان السورتان ترشدان إلى المعاني الضرورية التي يجب أن يتّصف بها النبي من الإعداد النفسي الإيماني الذي يحتاجه الداعية قبل أن يحمل دعوته منطلقاً بها إلى الناس، فسورة المزمل أرشدت إلى:

1–العلاقة مع الله.

2–بل والانقطاع عما سواه ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ (سورة المزمل : 8).

3–وما يتعلق بذلك من تهجد وذكر لله.

4–واعتناء بالقرآن لكونه مصدر المدد الإلهي للنبي.

5–والتهيئة للدور الذي سيقوم به النبي.

6–مع ضرب المثل بموسى عليه السلام.

7–وتذكير النبي والمؤمنين باليوم الآخر.

8–وربط كل ذلك بعظمة الله وقهره لكل شيء

فهي إذا تربية نفسية إيمانية، فيمكن أن نقول بأن سورة المزمل احتوت على أصول التربية الإيمانية.

وأما سورة المدثر فقد احتوت على أهم ما يتوجب على النبي القيام به من حيث هو رسول، ومستلزمات القيام بواجب الدعوة إلى الله من القيام بواجب النذارة، وتعظيم الله فوق تعظيم كل شيء، والاعتناء بالأخلاق العالية في التعامل مع الناس، وهجر الأصنام والدعوة إلى ذلك، والهجر هنا يتضمن العداء والتحريض على تركها، والصبر على ما سيصيبه جراء كل ذلك، ومع ذلك عدم استكثار هذه المواقف العظيمة والخطيرة في جنب الله، وهذا ينشأ عن تعظيم الله ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ (سورة المدثر : 6)، ثم تمضي الآيات في تكريس الخصومة بين منهج الله ومناهج المنحرفين والتصدي لرموزهم والتذكير بمآلاتهم إن في الدنيا أو الآخرة، فهي إذا تربية دعوية إعدادية.

نخلص من دراسة سورتي المزمل والمدثر إلى ما يلي:

1-السورتان تضمنتا التأهيل والإعداد لما يجب أن يكون عليه الداعية سواء فيما بينه وبين الله أو فيما بينه وبين المدعوين.

2-لا بد للنبي أن يجتهد على نفسه قبل أن يتصدى لقيامه بالرسالة، فشرف النبوة لا يستكمل نواله إلا بعد اجتهاد النبي واستعداده

3-منهج الدعوة والتربية عموماً يقتضي الاعتناء بتربية النفس أولاً ولذلك جاءت سورة المزمل سابقة في ترتيب المصحف وإن تأخرت في النزول عن سورة المدثر.

لم ينادى النبي فيهما بالنبوة إشعاراً بضرورة القيام بالأوصاف الضرورية قبل استحقاقه لذلك النداء الكريم العظيم.

المطلب الثالث: تحليل السياقات التي ورد فيها النداء ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ في القرآن الكريم:

ورد هذا النداء الكريم في القرآن الكريم خمس عشرة مرة وهي:

سورة الأنفال ثلاث مرات الآيات:

- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (64) ﴾. الأنفال (64)
- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65) ﴾الأنفال (65)
- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (70)﴾ الأنفال (70)

سورة التوبة الآية، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (73) ﴾ التوبة (73)

سورة الأحزاب خمس مرات الآيات:

- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (1) ﴾ . الأحزاب (1)
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28) ﴾ . الأحزاب (28)
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) ﴾. الأحزاب (45)
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (50) ﴾. الأحزاب (50)

- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (59) ﴾ سورة الأحزاب (59)

سورة الممتحنة الآية: ﴿ا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (12) ﴾ الممتحنة 12

سورة الطلاق الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (1) ﴾ الطلاق (1)

سورة التحريم مرتان الآيات:

- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التحريم (1)
- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ التحريم (9)

بالرجوع إلى الآيات الكريمات نجد أن المواضيع التي تحدثت عنها الآيات أربعة وهي (من خلال استقراء وتدبر الآيات يظهر ذلك جليا):

1-الجهاد وما ينبغي على الأمة من الاستعداد وقتال الأعداء لضمان قوة الأمة وتفوقها ونرى ذلك جلياً في آيات سورة الأنفال (64، 65، 70) وآية سورة التوبة (73) وآية سورة التحريم (9).

2-سياسة المجتمع وإدارته لضمان قوته وتماسكه ويظهر ذلك جليا في آيتي سورة الأحزاب (1، 59).

3-إصلاح الأسرة لتبقى قوية متماسكة منتجة ويظهر ذلك في آيتي سورة الأحزاب (28، 50) وآية سورة الطلاق (1) وآية سورة التحريم (1).

4-الأمر باتباع أمر النبي كونه قدوة ومرجعية فكرية ودينية وتوحيد المرجعية الفكرية ومصدر التلقي في الفكر، ويظهر ذلك في آية سورة الأحزاب (45) وآية سورة الممتحنة (12).

المطلب الرابع: دلالة النداء ب (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) :

التكريم والتبجيل فإن الله لم ينادي محمدا ﷺ في القرآن باسمه المجرد (يا محمد) قط، وإنما ناداه بالرسالة ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ أو النبوة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ، وفي هذا مزيد تكريم وتعظيم له، " نودي صلوات الله عليه بوصفه دون اسمه، تعظيما له." (القاسمي ، 1418 ، (8) ص 47).

النداء بالمبهم (أي) مزيد في التعظيم والتوقير "عبّر عنه بالمبهم إشعاراً منه بأنه من غاية عظمته، بحيث لا يعلم كنهه " (القاسمي ، 1418 ، (9) ص 266).

النداء بهذا النداء يشعر بأن الموضوع المتحدث عنه عظيم لا يقوم بحقه إلا نبي أو صالح متبع لنبي؛ "للدلالة على أن حقيقة المشار إليه أمر لا يكاد يتصوره كل أحد" (الحسيني، 1990 ، (2) ص 323)، وقال ابن عاشور" قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنفال : 64)، استئناف ابتدائي بالإقبال على خطاب الرسول ﷺ بأوامر وتعاليم عظيمة" (ابن عاشور، 1984 ، (10) ص 65).

تعليم المؤمنين بأن يتأدبوا مع النبي فلا ينادوه باسمه بل بوصفه، "في هذه الصيغة تعليم وتأديب للمؤمنين يتضمن النهي عن مخاطبته باسمه والأمر بأن يخاطبوه بوصفه" (الحسيني، 1990 ، (6) ص 320)، وقال المراغي وهذا الخطاب للتشريف والتعظيم وتأديب المؤمنين وتعليمهم أن يخاطبوه بوصفه كما كان يفعل بعض أصحابه بقولهم (يا رسول الله) وجهل هذا بعض

الأعراب لخشونتهم وسذاجة فطرتهم فكانوا ينادونه (يا محمد) صلى الله عليه وسلم، حتى أنزل الله تعالى: ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾ (سورة النور : 63)، فكفّوا عن ندائه باسمه " (المراغي ، 1946 ، (6) ص 117).

يشعر النداء ب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ أنَّ النبي مقصود على وجه مخصوص وإن كانت أمته داخلة معه في الخطاب بالتبع، " افتتاح السورة بخطاب النبيء ﷺ وندائه بوصفه مؤذن بأن الأهم من سوق هذه السورة يتعلق بأحوال النبيء ﷺ." (ابن عاشور، 1984 ، (21) ص 249).

يوجه هذا النداء إلى أنَّ النبي قدوة لأمّته، ويجب على القدوات أن يتصدروا واجبهم في قيادة الأمة أسوة بنبيهم، وبيان عدم جواز كون الأمة بلا قيادة، "خصّ النبي ﷺ بالنداء، وعمّ بالخطاب، لأن النبي ﷺ إمام أمته وقدوتهم، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: (يا فلان: افعلوا كيت وكيت)، وإظهارا لتقدمه، واعتبارا لترؤسه، وأنه مدرة قومه ولسانهم– والمدرة: القرية. أي: أنه بمنزلة القرية لقومه، وأنه الذي يصدرون عن رأيه، ولا يستبدون بأمر دونه، فكان هو وحده في حكم كلهم، وساد مسد جميعهم " (طنطاوي، 1997 ، (14) ص 441).

ومن خلال النظر إلى الموضوعات التي عالجتها الآيات التي احتوت على النداء الكريم: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ نجد أنّها جاءت متنوعة تنوّع موضوعات الحياة فنجد فيها أوامر متعدد تشمل تنظيم أمره وحياته كلها كرسول وكرئيس دولة وقائد جيش وكزوج صاحب أسرة وكقاضي مدني وكقدوة صاحب فكر ومنهج..

وهذا يعني أنَّ أسلوب النداء المفضل العام والرئيس للرسول ﷺ في كل أحواله هو: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾، وهو أكثر نداء للنبي تكرر في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تحديد الموضوع الجامع للسور الثلاث التي افتتحت بالنداء الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾

اعتمدنا هنا على المنهج الاستقرائي، من خلال سبر وتدبر الآيات في السور الثلاث وتكرير النظر فيها حتى وصل إلى نتائجه التي بنى عليها البحث، وقد ذكرنا في المقدمة شدة فقر المكتبة الإسلامية لكتابات في التفسير الموضوعي متخصصة ومتكاملة فجل ما في أيدينا إما بحوث مقتضبة رصينة وجيدة، ولكنها غير متكاملة فهي أشبه بالخواطر المتناثرة لا يجمعها نظام، وإما محاولات لا ترقى إلى أن تكون بحوثا في التفسير الموضوعي؛ لنزوعها إلى منهج التفسير التحليلي مع إضافة بعض الديباجات التي صنفت لأجلها ضمن التفسير الموضوعي وما هي منه !

إن المتدبر للسور الثلاث – سورة الأحزاب والطلاق والتحريم – يجد أنها تتحدث عن موضوع غاية في الأهمية وهو الحديث عن وجوب إنشاء أمة قوية متميزة متماسكة يؤسسها القرآن الكريم ويرعاها النبي الكريم بتوجيه خاص منه من خلال النداء الكريم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ وتدخل أمته معه بالتبع في تكليفها بإنشاء هذه الأمة القوية ورعايتها، يظهر ذلك أيضا من خلال النظر إلى سياقات الآيات التي تبدأ ب(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) التي سردناها وحللناها آنفا.

والحديث عن إنشاء أمة قوية يحتاج إلى الحديث عن أدوات فاعلة تحقق ذلك المراد الخطير، فنرى أن الآيات التي استهلت بالنداء الكريم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ تحدثت عنها وهي:

1- ضرورة تأسيس الطليعة المجاهدة للأمة وتدريبها ورعايتها وتطويرها لتكون أساساً وسنداً لسياسة الأمة الخارجية.
2- السياسة الداخلية وإدارة شؤون المجتمع والحكمة في التعامل مع مكوناته دون أن يؤدي ذلك التعامل الى شرخ وضعف يفتت المجتمع ويضره (حكومة قوية).
3- إصلاح الأسرة كونها المكوّن الأول والرئيس للمجتمع وبالتالي للأمة.
4- إيجاد القدوات والمرجعيات الفكرية والثقافية والدينية، وإثبات دورها الخطير والمهم في قوّة الأمة وضعفها وتوحيد مصادر التلقي عند الأمة.

والعجيب أن السور الثلاث أمعنت في الحديث حول هذه الأدوات، فتكلمت عنها صراحةً أو توجيهاً أو عالجت مواضيع جزئية تخدم هذه المواضيع، وسنرى كل ذلك جلياً عند استعراض السور الثلاث بالتفصيل.

وسنبدأ بسورة الطلاق ثم التحريم ونؤخر الكلام حول سورة الأحزاب لما جاء فيها من تفصيل وإجلاء للمقاصد ما لم يجئ في سورتي الطلاق والتحريم.

المبحث الثالث: موضوعات سورة الطلاق، وفيه مطالب:

المطلب الأول: المحور الرئيس في السورة وعلاقته بالنداء الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾:

قال المراغي: "هي مدنية، وآيها ثنتا عشرة، نزلت بعد سورة الإنسان.

ومناسبتها لما قبلها – أنه قال في السورة السابقة: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ (سورة التغابن : 14)، وكانت هذه العداوة قد تفضى إلى الطلاق– أرشد هنا إلى أحكام الطلاق والانفصال عن الأزواج على أجمل وجه". (المراغي، 1946 ، ص 558)

قال ابن عاشور رحمه الله: " وسبب نزولها ما رواه مسلم عن طريق ابن جريج (هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، الإمام ، العلامة ، الحافظ شيخ الحرم ، أبو خالد ، وأبو الوليد القرشي الأموي ، المكي ، صاحب التصانيف ، حدث عن عطاء بن أبي رباح فأكثر وجود ، وعن ابن أبي مليكة ، ونافع مولى ابن عمر ، وطاووس حديثا واحدا قوله . وذكر أنه أخذ أحاديث صفية بنت شيبة ، وأراد أن يدخل عليها ، فما اتفق . وأخذ عن مجاهد حرفين من القراءات ، وميمون بن مهران ، ويوسف بن ماهك ، وعمرو بن شعيب ، وعمرو بن دينار ،وغيرهم ، حدث عنه : ثور بن يزيد ، والأوزاعي ، والليث ، والسفيانان ، والحمادان وغيرهم ، قال عبد الله بن أحمد : قلت لأبي : من أول من صنف الكتب ؟ قال : ابن جريج ، وابن أبي عروبة ، انظر: (الذهبي ، 1985 ، (6) ص 326))، عن أبي الزبير أنه سمع عبد الرحمان بن أيمن يسأل ابن عمر: كيف ترى في الرجل طلق امرأته حائضاً؟ فقال: طلق ابن عمر امرأته حائضاً على عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر رسول الله ﷺ فقال له: ليراجعها، فردها وقال: إذا طهرت فليطلق أو ليمسك، قال ابن عمر وقرأ النبي ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ (سورة الطلاق : 1) . (النيسابوري، (د.ت) ، برقم 1471).

وظاهر قوله: وقرأ النبي ﷺ إلخ. إنها نزلت عليه ساعتئذٍ. ويحتمل أن تكون نزلت قبل هذه الحادثة.

وقال الواحدي (الواحدي ، 1991 ، ص 435)، عن السدي (هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور السدي ، أحد موالي قريش . حدث عن أنس بن مالك ، وابن عباس ، وعبد خير الهمداني ، ومصعب بن مسعد ، وأبي صالح باذام ، ومرة الطيب ، وأبي عبد الرحمن السلمي وعدد كثير . حدث عنه شعبة ، وسفيان الثوري ، وزائدة ، وإسرائيل ، والحسن بن حي وأبو عوانة ، والمطلب بن زياد ، وأسباط بن نصر ، وأبو بكر بن عياش وآخرون . انظر: (الذهبي ، 1985 ، (5) ص 254)): "أنها نزلت في قضية طلاق ابن عمر، وعن قتادة أنها نزلت بسبب أن النبي ﷺ طلق حفصة ولم يصح، وجزم أبو بكر بن العربي بأن شيئاً من ذلك لم يصح وأنّ الأصح أن الآية نزلت بياناً لشرع مبتدأ." (ابن عاشور، 1984 ، (28) ص293).

وأيا كان سبب نزولها فالسورة تعالج – كما يبدو من اسمها – طرفاً من موضوع الطلاق، والملاحظ أنها لا تستوفي أحكام الطلاق كلها، مما يعطي انطباعاً أن الحديث عن الطلاق ليس هدف السورة الوحيد، فأحكام الطلاق موجودة في غيرها من سور القرآن الكريم أيضاً، وكأن المقصود لفت النظر إلى عدة أمور من خلال الحديث عن الطلاق.

يمكن أن نقول بأن الموضوع الرئيس الذي تعالجه السورة هو: وجوب إعطاء كل ذي حق حقه، والآيات على وفق نظام القرآن لا تتحدث عن الموضوع الرئيس بصورة تجريدية تنظيرية، وإنما بطريقة حية تعالج واقع الناس، بتناول قضايا اجتماعية وعرضها على

ميزان القرآن الكريم، ومن خلال هذا العرض الحيوي الشافي يتكامل عرض الموضوع الرئيس بسلاسة لا تشعر بنزوع القرآن الكريم إلى التجريد والتفلسف الذي لا يناسب عوام الناس ومختلف شرائحهم.

تعالج الآيات قضية وجوب إعطاء الحقوق لأصحابها من خلال:

1- ما يجب على المطلق تجاه زوجته بالرغم مما يكون بينهم جراء الخلاف المؤدي للطلاق.

2- تنوع الناس واختلاف الأحكام باختلاف أحوالهم، وملاحظة تغير الحق بحسب تغير الحال ووجوب بذل الحق على كل حال، جرياً على قاعدة إعطاء كل ذي حق حقه (الآيات 1، 4، 6).

3- عدم الحيف بحيث لا يمكن أن يكون المعطي مظلوماً وإنّما يراعى عند مطالبته بأداء ما عليه حاله (الآيات 6، 7).

4- علاج بعض ما يعرض للإنسان المطالب بدفع ما عليه من بخلٍ أو خوف فقرٍ بتقوى الله والتوكل عليه (الآيات 2، 3، 4، 5، 7، 10).

5- بيان عواقب أقوام قصروا بما وجب عليهم، فلم يؤدوا الحقوق التي عليهم (الآيات 8، 9، 10).

6- بيان المنهج الذي يجب على المسلم الصدور عنه والتقيّد به في معرفة ما يجب عليه للقيام به (الآيات 11، 12).

وتختم السورة بآية عظيمة يبين الله فيها قيوميته على السماوات وتخصيصه لأهل الأرض بالرزق والقيام بشؤونهم حتى صلحت أحوالهم، وفي هذا إلماح لأهل الحق والإصلاح بوجوب قيامهم بواجبهم ليصلح حال أهل الأرض.

المطلب الثاني: المحاور الفرعية في السورة، وعلاقتها بالمحور الرئيس:

عرض الآيات :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا١ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا٣ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا٤ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا٥ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى٦ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا٧ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا٩ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا١٠ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا١١ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا١٢﴾ (سورة الطلاق : 1-12).

المواضيع التي اشتملت عليها السورة:

أولاً: إصلاح الأسرة:

1- موضوع ترتيب البيت الداخلي للأسرة وعلاج موضوع من أخطر الموضوعات التي تهدد الأسرة وتساهم في تفكيك المجتمع وهو الطلاق.

يقول سيد قطب رحمه الله: " فليست (العلاقات الأسرية) هي مجرد إشباع لجوعة الجسد، وإطفاء لفورة اللحم والدم، إنما هي اتصال بين كائنين إنسانيين من نفس واحدة، بينهما مودة ورحمة، وفي اتصالهما سكن وراحة ولهذا الاتصال هدف مرتبط بإرادة الله في خلق الإنسان، وعمارة الأرض، وخلافة هذا الإنسان فيها بسنة الله. " (الشاذلي، 1412 ، (5) ص 2858) ... ونجد الحديث عن هذا الموضوع في الآيات (1، 2، 4، 6، 7).

2- الدعوة إلى إقامة أسس الأسرة على العدل.. ونجد الحديث عن هذا الموضوع في الآيات (1، 2، 6، 7).

3- الدعوة إلى التقوى لتكون منهاجاً للتعامل داخل الأسرة، وقد تكرر الأمر بالتقوى في السورة تكراراً لافتا، سواء للمطلق أو المطلقة، يقول سيد قطب رحمه الله – عن تكرار الأمر بالتقوى –: " فالأولى تيسير للأمور. والثانية تكفير للسيئات وإعظام للأجر بعد التكفير.. فهو الفيض المغري والعرض المثير. وهو حكم عام ووعد شامل. ولكنه يخلع على موضوع الطلاق ظلاله، ويغمر القلب بالشعور بالله وفضله العميم " (الشاذلي، 1412 ، (5) ص 2858)، نجد ذلك في الآيات (2، 4، 5، 10)

4- التوكل على الله من أهم ما ينجح الحياة الأسرية.. نجد ذلك في الآية (3).

ثانياً: سياسة المجتمع وإدارته:

يجب أن لا تترك أمور المجتمع الخطيرة لاجتهاد الناس، فلا بد من وجود قيادة سياسية موجهة، يلاحظ من قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إذا طلقتم... ﴾ (1) فالحكم للأمة والأمر للنبي لتنفيذه والإشراف عليه، وفي ذلك إلماح إلى أن إدارة شؤون الأمة لا بد من أن توكل إلى جهة شرعية ما، تكلف بالقيام بما يصلح شأن الأمة.

ثالثاً: إيجاد القدوات الفكرية والدينية والأمر باتباعها واحترامها:

1- لا بد للمنهج أن يتجسد في القدوة التي تدعو إليه، قال ابن عاشور رحمه الله: " وقوله: رسولاً بدل من ذكراً بدل اشتمال لأن بين القرآن والرسول محمد ﷺ ملازمة وملابسة فإن الرسالة تحققت له عند نزول القرآن عليه، فقد أعمل فعل أنزل في رسولاً تبعاً لإعماله في المبدل منه باعتبار هذه المقارنة واشتمال مفهوم أحد الاسمين على مفهوم الآخر.

وهذا كما أبدل تعالى قوله: ﴿ رسول من الله﴾ [البينة: 2] من قوله: ﴿ حتى تأتيهم البينة في سورة البينة﴾" (ابن عاشور، 1984 ، (28) ص 337).

وكون الرسول بدلاً عن الذكر فيه معنى دقيق يدل على ما ذكرناه، فكأن الرسول والمنهج تماهياً حتى أصبحا شيئا واحداً ! فإذا أطلق الرسول استدعي إلى الذهن – فوراً – منهجه، وفي هذا دعوة للقدوات إلى قيامهم الدقيق بالمنهج، ودعوة للناس للإقبال على القدوة ينهلون منها المنهج.

2- يجب احترام الأمة للقدوة، فاحترام القدوة من احترام المنهج، ألا ترى من بديع بلاغة القرآن الكريم – كما مر في النقطة السابقة – أنها تفيد ذلك !

3- يجب على القدوات أن يقوموا بأدوارهم في التوجيه والتعليم والمخالطة، وأن تكون تجربتهم الحياتية مع الناس مثالا حيا على صلاحية المبادئ للتطبيق (قصة طلاق النبي لحفصة ثم إرجاعه إياها..)

4- يجب على الأمة تصحيح الخطأ عند القدوة فليس هنالك معصوم إلا النبي ﷺ .. وها هو الله يخاطبه بما يشبه العتاب ! يمكن أن يستفاد من قصة النبي ﷺ في تطليقه لحفصة رضي الله عنها (قال الشيخ شعيب الأرناؤوط رحمه الله تعالى : وأخرج الحاكم في (المستدرك) 15/4، والطبراني 18/ (934) من طريقين عن حماد بن سلمة، أنبأنا أبو عمران الجوني، عن قيس بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق حفصة بنت عمر، فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون، فبكت وقالت: والله ما طلقني عن شبع، وجاء النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "قال لي جبريل عليه السلام: راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة"، ورجاله ثقات غير قيس بن زيد، فإنه تابعي صغير مجهول، وفي المتن وهم، فإن عثمان بن مظعون مات قبل

أن يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة، لأنه مات قبل أحد بلا خلاف، وزوجُ حفصة قبل النبي صلى الله عليه وسلم مات بأحد، فتزوجه النبي صلى الله عليه وسلم بعد أحد.

وأخرج الحاكم 15/4 من طريق إسماعيل القاضي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا الحسن بن أبي جعفر، حدثنا ثابت، عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق حفصة تطليقة، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد طلقت حفصة وهي صوَّامة قوَّامة وهي زوجتك في الجنة فراجعها. وإسناده ضعيف لضعف الحسن بن أبي جعفر وهو الجُفْري، وأخرجه البزار (2668) من طريق الحسن (وقد تحرف في المطبوع إلى الحسين) بن أبي جعفر، عن عاصم، عن زر، عن عمار بن ياسر. ذكره في تحقيقه لصحيح ابن حبان ج10 ص 102 .).

المطلب الثالث: علاقة الموضوع الجامع في السور الثلاث بمحاور السورة:

الموضوع الجامع بحسب ما قررنا هو: السعي لإنشاء أمة قوية متماسكة من خلال: إصلاح الفرد والأسرة وإدارة المجتمع إدارة سياسية صحيحة، وإيجاد قدوات فكرية ودينية مؤثرة وداعمة لقوة الأمة، وتأسيس جبهة قوية قادرة على حماية الأمة من الخارج (الطليعة المجاهدة).

ومن خلال النظر في الأهداف الفرعية للسورة نجد أنها تتحدث تماماً عن هذه العناوين الهامة !

المبحث الرابع : موضوعات سورة التحريم، وفيه مطالب:

المطلب الأول: المحور الرئيس وعلاقته بالنداء الكريم:

أول ما يلفت نظرنا في هذه السورة هو خطاب النبي بما يشبه العتاب: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (1) ﴾

"وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرّم ما أحلّ الله لأن الله عزّ وجل إنما أحلّ ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله، فإذا حرّم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة وَاللَّهُ غَفُورٌ قد غفر لك ما زللت فيه رَحِيمٌ قد رحمك فلم يؤاخذك به" (الزمخشري ، 1407 ، ص 564).

واختلف المفسرون في الأمر الذي حرمه النبي ﷺ على نفسه حتى عاتبه الله فيه بحسب اختلاف الروايات:

1- فعن أنس: أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها، فأنزل الله، عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ سورة التحريم (1) (النسائي، 1986 ، (7) ص 71، برقم 3959 .).

2- وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا، فَوَاطَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَلَى، أَيَّتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ، إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، قَالَ: «لاَ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ، لاَ تُخْبِرِي بِذَلِكِ أَحَدًا» (البخاري ، 1422 ، (6) ص 156 برقم 4912).

3- وذكر ابن كثير أن النبي قد آلى من نسائه شهراً ثم نزلت الآيات من سورة التحريم فراجع النبي نساءه وخيرهن بين المكوث معه أو اللحاق بأهلهن (القرشي، 1419 ، (8) ص 164 .)، وورد في ذلك حديث طويل في صحيح مسلم (النيسابوري ، (د.ت)، (2) ص 1105 رقم 1479)، وأيا كان أمر المعاتبة فإن الله يعاتب نبيه بتودد مطمئن، لا يكاد يتم المعاتبة حتى يطمئنه بأنه قد غفر له ذنبه ﴿ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (1) !

تنطلق الآيات من داخل بيت النبوّة لعلاج مشكلة اجتماعية حدثت هناك وتتكرر في كل زمان ومكان، إلا أن السياق يأبى أن يبقى تحت أسر هذه المشكلة، فهو يتحرك منطلقاً منها ليرسم – بعيداً عنها غير هاجر لها – منهجاً عاماً وقانوناً يمكن تعميمه في كل مجالات الحياة الاجتماعية منها وغيرها !

وإذا كانت سورة الطلاق تقرر على الإنسان وجوب إعطاء الحقوق لأصحابها، فإن سورة التحريم تقرر عدم إيصال الحق إلا للمستحق !! وقد ضربت السورة لتقرير هذا المبدأ أمثلة من أعلى المستويات ! فهي تقرر القاعدة من داخل بيت النبي بل ومن داخل بيوت الأنبياء، وسيدات نساء العالمين !

وهي تقرر ذلك من خلال عدة مشاهد وتعليقات لا تبعد عنها ومنها:

1-عتاب النبي هو أول ما تفاجئ به السورة القارئ .. وكأنها تقرر عنده ما يلي: حتى النبي فإن سبب رفعة شأنه عند الله إنما يكون بشدة التزامه بأمر الله !! لا بالنسب ولا بأي شيء آخر قد يراه الناس موجبا لهذه الرفعة.

2-مفاصلة زوجات النبي، فإما أن يقمن بما عليهن أو يحرمن من شرف صحبة النبي ولقب أمهات المؤمنين !

3-التوجه بالخطاب للذين آمنوا فالأمر عام ليس فيه تخصيص لأحد (إما أن تؤدي ما عليك أو أن يحرمك الله مما تظن أنه لك ولو كان لك قربى بالنسب أو غيرها، الآية (6).

4-التوجه بالخطاب إلى الكافرين وبيان أن سبب إقصائهم ووعيدهم إنما هو أعمالهم وتقصيرهم، الآية (7).

حتى الملائكة فقد وصفهم الله بوصف استحقوا لأجله التقريب وهو ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ﴾ (6) ولولاه لأقصاهم أيضا !!.

5-الأمر بجهاد الكفار والمنافقين يأتي ضمن نفس السياق أيضا، الآية (9).

6-زوجتا النبيين الكريمين نوح ولوط ضمن نفس المقياس، فلا ينفعهما قربهما من زوجيهما النبيين، ما دامتا لا تستحقان !.

7-مريم وآسية زوجة فرعون استحقتا فنالتا بالرغم من وجودهما في بيئة كافرة وقع عليها غضب الله، إلا أن عناية الله اختصت بهما بسبب استحقاقهما لها.

8-بالرغم من هذه المفاصلة الدقيقة والحاسمة إلا أن باب التوبة يبقى مفتوحا ويمكن للإنسان العودة إلى رضى الله وعنايته إن تاب ورجع عن تقصيره، الآية (8).

وفي تفاصيل السورة إرشادات كثيرة تجلي صورة الموضوع بشكل أكثر.

المطلب الثاني: محاور السورة الفرعية، وعلاقتها بالمحور الرئيس:

يمكن تقسيم السورة إلى عدة محاور يجمع كل محور موضوع واحد:

أولاً: المحور الأول: من الآية رقم (1) إلى الآية رقم (5) وهي الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ١ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ٢ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ٣ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ٤ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا٥﴾ (سورة التحريم : 1-5).

وعنوانه إصلاح الأسرة المسلمة بصفتها لبنة أساسية في بناء المجتمع والأمة، ونجد في هذا المحور ما يلي:

1-توحيد المنهج وعدم جواز الحكم بالتشهي فتحريم الحلال مثل تحليل الحرام، كلاهما من الله، الآية (1، 2)

2-المنهج الإسلامي منهج واقعي، الخطأ في تطبيقه وارد، يسهل بعده الرجوع وتصحيح المسار، الآية (2، 4)

3-العناية بالأسرة المسلمة، وتوجيه الزوجات بما يجب عليهن من تقوى الله في علاقاتهن الأسرية مع الزوج وغيره، الآية (4)

4-المحافظة على أسرار الأسرة يحفظها من التفكك، الآية (3)

5-التوجيه إلى القيام بحق النبي ﷺ، بوصفه نبي، والقيام بحق القدوة وصاحب الحق عموما، الآية (4)

6-مرة أخرى.. لا حرج في الطلاق إذا خرجت الأسرة عن الهدف الذي أسست له، الآية (5)

7-الهدف من الطلاق إعادة بناء أسرة جديدة تحقق أهداف الأسرة ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله... (5) ﴾

وتجد في هذا المحور الحديث عن الأسرة مختلط مجبول بالحديث عن المنهج، وكأنه ينبئك بضرورة ربط الأسرة بالمنهج لتصبح أسرة منتجة في إطار المنهج، فالعلاقة بينهما شديدة التماسك، فالمنهج ينشئ أسرة هانئة مستقيمة، وهي بدورها تساهم في ترسيخ وتوطيد المنهج !

ثانياً: المحور الثاني:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ٧ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ٨ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ٩﴾ (سورة التحريم : 6-9).

تنطلق هذه الآيات لترغب المسلمين باتباع المنهج الذي ليس لهم صلاح في غيره، ولن ينعموا بحياة مستقيمة إلا في رحابه، ترغبهم بالتزامه وتحذرهم من تنكب طريقه، ويحسن أسلوب الالتفات إذ ينتقل السياق من خطاب المؤمنين إلى خطاب الكافرين بلفتة سريعة خاطفة تنبئ بخطورة الأمر على المؤمن، في الآية (7)، فما أن يترك المسلم منهج الله حتى يصنف نفسه مع أهل النار.. هكذا بسرعة خاطفة تسايرها سرعة الالتفات في الآية !

" والحجارة: وهي جمع حجر. كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس، والمراد بها الأصنام التي نحتوها وقرنوا بها أنفسهم وعبدوها طمعاً في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار لمكانتهم، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾. عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكافرون بما كنزوه. أو بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم. وقيل: الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها."، وهو تفسير لموضع سورة البقرة المتشابه مع هذا الموضع (البيضاوي، 1418 ، (1) ص 58).

ويمكن أن نضيف على الذهب والفضة والأصنام كل ما عظموه فقدموه على المنهج القويم.

وفي الآيات سوى ذلك:

1-أن التخويف منهج قرآني لا تصلح الحياة بدونه، الآية (6، 7).

2-الأمر بالتقوى ليصلح المجتمع، الآية (6).

3-كل المناهج التي تعارض المنهج الحق مصيرها البطلان في الدنيا والخسران في الآخرة، الآية (8).

4-ما يحل بالكافرين من عذاب وخسران في الدنيا والآخرة، فبما كسبة أياديهم، الآية (7).

5-المنهج الإسلامي واقعي، الخطأ في تطبيقه وارد، والحل: التوبة، الآية (8).

6-القرآن الكريم يضيء الطريق ويجليها ﴿ نورهم يسعى.. ﴾، الآية (8).

7-الرسول ﷺ إمام في الدنيا والآخرة ﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾، الآية (8).

8-الأمر بالجهاد يحفظ الأمة من الزوال، الآية (9).

9-الانتباه للمنافقين فشأنهم إفساد أحوال الأمة، الآية (9).

وتجد هذه الآيات تحدثك عن ضرورة الالتزام بمنهج الله وإلا هلكت الأمة وضاعت، كما تحدثك عن شناعة تنكب طريق المنهج ومقدار الخسارة التي ستواجه المتنكبين، كما وترشد الآيات إلى وجوب جهاد الكافرين من منظور حماية المنهج وحراسته.

ثم تنطلق الآيات ضاربة أمثالاً من التاريخ، طواها التاريخ وتخطتها الأيام، صالحة للاعتبار في سياسة المجتمع وسلامة البيوت وضرورة إقامتها على منهج الله، والتبرؤ من مخالفي المنهج ومن أعمالهم، الآيات من الآية (10) إلى الآية (12) والأخيرة.

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ

بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (12)﴾ (سورة التحريم : 10)

وفي الآيات أيضاً:

5-فساد المجتمع ليس مبرراً لفساد الأبرار. ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ ﴾ (11)

6-صلاح البعض وإن كان مقرباً لا ينفع الآخرون وإن كانوا مقربين منه ﴿ فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا﴾ (10).

7-المسؤولية في المجتمع فردية وإن كان البناء جماعيا تراكمياً.

8-المحافظة على الأسرة في ظل فساد المجتمع، فلعل الله يخرج منها من يصحح به مسار الأمور ﴿ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا..﴾(12).

9-الخيانة – بمفهومها العام – مفسدة للأسر ومفككة للمجتمع.

10-يكافئ الله المحسن وإن كان فردا ويهلك الله الظالم وإن كان أمة !

المطلب الثالث: علاقة الموضوع الجامع للسور الثلاث بمحاور السورة:

ونذكر هنا بالموضوع العام الجامع للسور الثلاث والذي ذكرناه مراراً وهو: السعي لإنشاء أمة قوية متماسكة من خلال:

1-إصلاح الفرد والأسرة.

2-إدارة المجتمع إدارة سياسية صحيحة.

3-وإيجاد قدوات فكرية ودينية مؤثرة وداعمة لقوة الأمة.

4-تأسيس جبهة قوية قادرة على حماية الأمة من الخارج (الطليعة المجاهدة).

ومن خلال النظر إلى أهداف السورة ومواضيعها التفصيلية نجد أنها تقع ضمن الهدف الجامع العام تماماً، فالموضوع الجامع للسور الثلاث – بحسب اجتهادنا – هو التوجيه لأجل بناء أمة متماسكة قوية من خلال التركيز على الأدوات التي ذكرناها سابقا، وبالنظر إلى تحليل ما جاء في المقاطع الثلاثة في سورة التحريم نجد:

1-الأمر بالجهاد بوصفه السياج الحامي للأمة من الذوبان والضياع.

2-سياسة المجتمع وإدارته بالحذر من المنافقين، وسياسة المجتمع بأحكام الدين.

3-إصلاح الأسرة واعتبارها مسؤولية الزوجين، فليست الأسرة مكاناً لقضاء المتعة والوطر فحسب ولكنها اللبنة التي يعول عليها في بناء الأمة.

4-توحيد المنهج.

5-وإبراز دور القدوة ووجوب الالتفاف حول القيادة والصدور عن القدوات.

المبحث الخامس: موضوعات سورة الأحزاب، وفيه مطالب:

المطلب الأول: المحور الرئيس في سورة الأحزاب:

سورة الأحزاب هي أطول السور الثلاث وأشملها وأدلها على المقصود وأجمعها للموضوع الجامع في كل تفصيلاته.

والهدف العام الذي تهدف إليه السورة في محاورها المتعددة هو الصدق في التزام منهج الله وعدم التهاون في القيام به والتضحية في سبيله بكل ما يملك ! وفي السورة علاج لكثير مما يعرض للسالك في هذا المنهج، وحديث طويل عن المنافقين بوصفهم أدعياء المنهج ! وكل ما ورد في السورة من تفصيلات يرد إلى هذا الهدف العام.

تحدثت السورة عن:

1-عدم جواز طاعة المنافقين والكافرين صيانة للمنهج من الانحراف، وقد تكرر في الآيتين (1) و (48)

2-بدأت بالحديث عن التبني وفيه إشارة إلى المقصود لا يمكن أن يصبح الدعي كالأصيل، وهو تنبيه أولي للدخول في المقصود، الآيتان (4، 5)

3-قصة غزوة الأحزاب وصدق أهل المنهج في ظروفها القاسية، الآيات (8 – 20)

4-وفاء الله لأهل المنهج بنصرهم وتأييدهم، الآيات (23- 27)

5-يبدأ العمل بالمنهج من داخل البيت، الآيات (28 – 35)

6-ينبغي ألا يقاس المنهج بالتشهي، وأن لا يخضع لنزوات الشهوات ولا لانتقادات العقول، طالما أن مصدره الله، الآيات (37 – 54)

7-احترام الرسول المبلغ للمنهج وتقديسه جزء من المنهج، الآيات (56 – 58)، والآية (69)

8-حمل المنهج هو الأمانة التي كلف الله بها عباده ﴿ إنا عرضنا الأمانة... ﴾

المطلب الثاني: المحاور الجانبية وعلاقتها بالمحور الرئيس :

سنبدأ بتقسيم السورة إلى مقاطع بحسب الموضوعات التي تحدثت عنها:

أولاً: المقطع الأول: الآية (1) إلى الآية (8)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا١ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا٣ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ٤ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا٥ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا٦ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا٧ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا٨﴾ (سورة الأحزاب : 1-8).

يحدثنا المقطع عن توحيد المنهج وتثبيت القدوة من خلال عدة أحداث، وتشريعات تدور حول هذا المقصد، في ثنايا الكلام الحديث عن ترك قيم الجاهلية والعادات المنحرفة عن منهج الفطرة السديد، ويثبت المقطع القدوة – رسول الله ﷺ – ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.. ﴾ (6) وجوب التزام القائد بالمنهج وعدم الحيدة عنه إصغاء للأهواء أو نزولاً عند الضغوطات ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (1)

يقول سيد قطب رحمه الله : " إن التوجيه الثاني هو النهي عن طاعة الكافرين والمنافقين، واتباع توجيههم أو اقتراحهم، والاستماع إلى رأيهم أو تحريضهم: ﴿ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنافِقِينَ﴾.. وتقديم هذا النهي على الأمر باتباع وحي الله يوحي بأن ضغط الكافرين والمنافقين في المدينة وما حولها كان في ذلك الوقت عنيفاً، فاقتضى هذا النهي عن اتباع آرائهم وتوجيهاتهم، والخضوع لدفعهم وضغطهم.

ثم يبقى ذلك النهي قائماً في كل بيئة وكل زمان، يحذر المؤمنين أن يتبعوا آراء الكافرين والمنافقين إطلاقاً، وفي أمر العقيدة وأمر التشريع وأمر التنظيم الاجتماعي بصفة خاصة؛ ليبقى منهجهم خالصاً لله عز وجل، غير مشوب بتوجيه من سواه، ولا ينخدع أحد بما يكون عند الكافرين والمنافقين من ظاهر العلم والتجربة والخبرة – كما يسوغ بعض المسلمين لأنفسهم في فترات الضعف والانحراف – فإن الله هو العليم الحكيم وهو الذي اختار للمؤمنين منهجهم وفق علمه وحكمته: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ " (الشاذلي، 1412 ، (5) ص 2822).

التمسك بالمنهج يحتاج إلى التوكل على الله لتجاوز التهديدات والإغراءات.

توحيد الثقافة هو سبيل القوة وزاد الاستمرار قال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ (4)، وما أجمل ما لخصه سيد قطب تعليقا على هذه الآية حين قال: " إنه قلب واحد، فلا بد له من منهج واحد يسير عليه. ولا بد له من تصور كلي واحد للحياة وللوجود يستمد منه. ولا بد له من ميزان واحد يزن به القيم، ويقوّم به الأحداث والأشياء. وإلا تمزق وتفرق ونافق والتوى، ولم يستقم على اتجاه. ولا يملك الإنسان أن يستمد آدابه وأخلاقه من معين ويستمد شرائعه وقوانينه من معين آخر ويستمد أوضاعه الاجتماعية أو الاقتصادية من معين ثالث ويستمد فنونه وتصوراته من معين رابع.. فهذا الخليط لا يكوّن إنسانا له قلب. إنما يكون مزقا وأشلاء ليس لها قوام! " (الشاذلي، 1412 ، (5) ص 2822).

يقدم النبي ومنهجه على كل شيء بما في ذلك العادات والتقاليد ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ (6)

دعوة لتدقيق وتمحيص ونقد الثقافة لإخراج منها ما لحق بها وليس هو منها فليس الدعي الدخيل كالأصيل! ويفهم ذلك من الماح ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ... ﴾ (4) إلى أن قال: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ (5)

الدعوة إلى اعتبار النبي أولى بالنفس من النفس ! في الآية (6) هي دعوة صريحة إلى عدم تقديم شيء على منهج النبي، وهي تثوير للعاطفة لتوجيه العقل ! وما أجمل أسلوب القرآن وهو يدمج بين مكونات النفس ويجيشها لتتوجه إلى هداياته بأحسن أسلوب !

ثانياً: المقطع الثاني: الآية (9) إلى الآية (27)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا٩ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا١١ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا١٢ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا١٣ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا١٤ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا١٥ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا١٦ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا١٧ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا١٨ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا١٩ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا٢٠ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا٢١ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا٢٢ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا٢٣ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا٢٤ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا٢٥ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا٢٦ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا٢٧﴾ (سورة الأحزاب : 9-27).

تتحدث هذه الآيات عن عدة أمور أذكر منها:

1-الحديث عن الجهاد بوصفه سياج الأمة الحافظ من الذوبان والضياع، مغتنماً أحداث غزوة الأحزاب للتمثيل والتوجيه.

2-الحديث عن المنافقين: سلوكهم، التحذير منهم، طريقة التعامل معهم، وفيه إضاءات للتعامل معهم والحذر منهم، لأنهم أخطر التحديات التي تواجه المجتمع والمنهج وبالتالي الأمة.

3-الكلام عن المنهج والقدوة ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (21)

4-الصدق في الجهاد والإخلاص لله هو ما يجلب النصر وينفي الهزيمة ﴿ ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾ (24).

5-النصر حليف الأمة المجاهدة ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾(27)

6-لعل أبرز ما توجه إليه الآيات في التعامل مع المنافقين هو كشف نفسياتهم، وبالتالي إرشاد الحكومة المسلمة إلى الحذر في التعامل معهم، دون رسم مسلك واضح سوى (الحذر) ليبقى عنوانا للتعامل معهم، فيولد آليات حركية تختلف باختلاف الزمان والمكان تحت عنوان الحذر في التعامل مع المنافقين.

ثالثاً: المقطع الثالث: الآية (28) إلى الآية (35)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا٢٨ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا٢٩ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا٣٠ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا٣١ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا٣٢ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا٣٣ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا٣٤ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا٣٥﴾ (سورة الأحزاب : 28-35).

وعنوانه إصلاح الأسرة المسلمة: وفيه أيضا:

1-إقامة البيت المسلم على التقوى، وتهيئته لقبول أحكام الشريعة كاملة، الآيات (28 – 29).

2-الفواحش مدمرة للأسرة مفككة للمجتمع، الآية (30).

3-العمل الصالح سبيل الفوز والتميز في الدنيا والآخرة، وهو من أهم استمرار الحياة الأسرية وتماسك المجتمع، الآية (31).

4-الحشمة وترك التبرج مما يصلح المجتمع ويقويه، ويكون الحض عليه من البيوت وهو من أهم مسؤوليات الأسرة في التربية، الآيات (32 – 33).

5-يجب أن تتحول البيوت المسلمة إلى مراكز للتعليم والتثقيف، الآية (34)

رابعاً: المقطع الرابع: الآية (36) إلى الآية (54)

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا٣٦ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا٣٧ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا٣٨ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا٣٩ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا٤٠ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا٤٢ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا٤٣ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا٤٤ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا٤٦ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا٤٧ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا٤٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا٤٩ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ

قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا٥٠ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا٥١ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا٥٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا٥٣ إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا٥٤﴾ (سورة الأحزاب : 36-54).

ترجع الآيات في هذا المقطع لذكر المنهج وضرورة التزامه، وتبدأ بالآية العظيمة ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (36) وفي الآيات أيضا:

1-لا يجوز للقدوة أن يضعف في بيان الحكم الشرعي﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾، الآية (39).

2-إنما يلتزم الإنسان بمنهج الله ويخرج من الظلمات إلى النور بتوفيق الله وبرحمته، لا بمحض اجتهاده، الآية (43).

3-بيان وظيفة النبي وهي الشهادة والبشارة والنذارة، الآيتان (45، 46).

4-تؤكد الآيات مرة أخرى بأنه لا يليق بالقدوة الذي من شأنه أن يتبعه الناس لا يليق به أن يطيع الكافرين والمنافقين ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ ﴾، الآية (48).

وما أجمل وأدق ما قال ابن عاشور: "وقوله: ودع أذاهم يجوز أن يكون فعل دع مرادا به أن لا يعاقبهم فيكون دع مستعملا في حقيقته وتكون إضافة أذاهم من إضافة المصدر إلى مفعوله، أي دع أذاك إياهم. ويجوز أن يكون دع مستعملا مجازا في عدم الاكتراث وعدم الاغتمام، فما يقولونه مما يؤذي ويكون إضافة أذاهم من إضافة المصدر إلى فاعله، أي لا تكترث بما يصدر منهم من أذى إليك فإنك أجل من الاهتمام بذلك، وهذا من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه. وأكثر المفسرين اقتصروا على هذا الاحتمال الأخير. والوجه: الحمل على كلا المعنيين، فيكون الأمر بترك أذاهم صادقا بالإعراض عما يؤذون به النبيء ﷺ من أقوالهم، وصادقا بالكف عن الإضرار بهم، أي أن يترفع النبيء ﷺ عن مؤاخذتهم على ما يصدر منهم في شأنه، وهذا إعراض عن أذى خاص لا عموم له، فهو بمنزلة المعرف بلام العهد، فليست آيات القتال بناسخة له." (ابن عاشور، 1984 ، (22) ص 58).

5-وفي الآيات توجيه مهم للقدوة وهو تنبيهه بأن قيامه بواجبه سيعرضه – ولا شك – للأذى فيجب عليه أن لا يجعل ذلك قاطعا لقيامه بأمر دعوته ودوره الحضاري المهم !.

6-بعض الخصوصية للرسول الإمام وفيها تعظيم لمقامه بين المؤمنين، وبالمناسبة لابد أن يكون للإمام – حتى من هو دون النبي ﷺ – شيئا من الخصوصية والتبجيل ضمن حدود ما شرع الله، وبقيد مهم وهو عدم تسبب ذلك التبجيل بانحراف القدوة.

7-لا ينقد المنهج بالتشهي ولا بنزوات الشهوة ولا حتى بنظرة العقل ذلك أنه من الله.

8-لا يمكن اعتبار ما اعتبره الشرع مختلفا متباعدا لا يمكن للعقل اعتباره متساويا متكافئا، إذ قد لا يظهر للعقل التفريق، وعندها لا بد له من استعمال الأدب – إن كان من الصادقين – وإسجاد العقل تحت كبرياء المنهج. خصوصيات النبي الواردة نموذجا.

خامساً: المقطع الخامس: الآية (55) إلى الآية (62)

قال تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا٥٥ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا٥٦ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا٥٧ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا٥٨ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا٥٩ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا٦٠ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا٦١ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا٦٢﴾ (سورة الأحزاب : 55–62).

عنوان هذا المقطع الحديث حول سياسة المجتمع وإدارته ليحقق منهج الله والحديث عن دور المنافقين في الإفساد الأخلاقي والسياسي في المجتمع. وتبين أهمية دور القيادة السياسية في التصدي لأراجيفهم ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ (60)

وفيه أيضا:

1–أمر الحاكم المسلم أفراد المجتمع بالحشمة وعدم الاكتفاء بتربية البيوت – على أهميتها والأمر بها، الآية (59).

2–وجوب التلويح بالقوة لينضبط المنافقون والمنحرفون داخل المجتمع، الآيات (60 – 62).

3–الذين يؤذون النبي لا بد من عذابهم في الدنيا، حتى يلزم الجميع باحترام المنهج، وهو من واجبات الحكومة المسلمة، الآية (58).

4–وجوب قيام الدولة بواجبها في حماية المسلمين ودفع الأذى عنهم، الآية (58)

سادساً: المقطع السادس: من الآية (63) إلى آخر السورة

﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا٦٣ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا٦٤ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا٦٥ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا٦٦ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا٦٧ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا٦٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا٦٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا٧١ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا٧٢ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا٧٣﴾ (سورة الأحزاب : 62–73).

ويتحدث المقطع الأخير عن عنصر مهم جداً من عناصر بناء الأمة لا يمكن أن يغفل، وهو حاضر دائماً في كل توجيهات السور الثلاث وفي تفصيلات أهدافها كلها، ألا وهو تربية الفرد والاعتناء بإنشاء الإرادة الذاتية لدى الفرد المسلم للمساهمة في تكوين الأمة ونهضتها، وتوجيهه ليكون فاعلاً في عملية البناء الحضاري فيها.

1–تبدأ الآيات بالحديث عن الساعة، والتلميح بقربها، لما لذلك من أثر في استقامة الناس والتزامهم. الآية (63).

2–الحديث عن الصحبة، والتبعية للطواغيت أو من سار بركابهم، وأثرها السيء على الفرد في الدنيا والآخرة، الآية (67).

3–الأمر بتقوى الله، الآية (70).

4–التذكير بالأمانة والمسؤولية الملقاة على عاتق كل فرد، الآية (72).

5–التحذير من النفاق، الآية (73)

وقد كان من الممكن أن ندرج هذه الأهداف ضمن الأهداف السابقة، ولكن أسلوب الخطاب في الآيات، يدعو القارئ المتدبر الى التأمل وتنزيلها على نفسه، فتعطيه الآيات فرصة لمحاورة ذاته، فرصة لاكتشاف الخلل في نفسه، وتوجهه بشكل هادئ لا يخلو من تهديد، أو قل بأسلوب شديد قاسٍ لا يخلو من رحمة وحنان.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا٦٤ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا٦٥ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا٦٦ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا٦٧ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ

وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا٦٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا٦٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا٧١ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا٧٢ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا٧٣﴾ (سورة الأحزاب : 64-73).

وإنك لتكاد تأخذ من هذه الآيات التي ختمت بها السورة الدروس السابقة جميعها ملخصة، مهيأة لتنتفع بها نفس المؤمن، بأسلوب أنيق حضاري مختصر، يتخلل خلجات نفسه فيوجهها أحسن توجيه نحو المقصود.

المطلب الثالث: علاقة الموضوع الجامع للسور الثلاث بمحاور السورة:

ذكرنا سابقاً أن الموضوع الجامع الذي ينتظم السور الثلاث هو: السعي لإنشاء أمة قوية متماسكة من خلال:

1-إصلاح الفرد والأسرة وإدارة المجتمع إدارة سياسية صحيحة.

2-إيجاد قدوات فكرية ودينية مؤثرة وداعمة لقوة الأمة.

3-تأسيس جبهة قوية قادرة على حماية الأمة من الخارج (الطليعة المجاهدة).

ومن خلال النظر إلى أهداف السورة ومواضيعها التفصيلية نجد أنها تقع ضمن الهدف الجامع العام تماماً، فالموضوع الجامع للسور الثلاث – بحسب اجتهادنا – هو التوجيه لأجل بناء أمة متماسكة قوية من خلال التركيز على الأدوات التي ذكرناها سابقاً، وبالنظر إلى تحليل ما جاء في محاور سورة الأحزاب نجد:

1-الأمر بالجهاد بوصفه السياج الحامي للأمة من الذوبان والضياع.

2-سياسة المجتمع وإدارته بالحذر من المنافقين، وسياسة المجتمع بأحكام الدين.

3-إصلاح الأسرة واعتبارها مسؤولية الزوجين، فليست الأسرة مكاناً لقضاء المتعة والوطر فحسب ولكنها اللبنة التي يعول عليها في بناء الأمة.

4-توحيد المنهج، وإبراز دور القدوة ووجوب الالتفاف حول القيادة والصدور عن القدوات.

الخاتمة:

يمكن أن نخلص في نهاية البحث إلى النتائج التالية:

1-بين السور الثلاث – موضع البحث – رابط موضوعي.

2-الموضوع الذي تتحدث عنه السور الثلاث هو الحديث عن إنشاء أمة قوية متماسكة، من خلال عدد من الأدوات وهي: إصلاح الفرد والأسرة وإدارة المجتمع إدارة سياسية صحيحة، وإيجاد قدوات فكرية ودينية مؤثرة وداعمة لقوة الأمة، وتأسيس جبهة قوية قادرة على حماية الأمة من الخارج (الطليعة المجاهدة).

3-النداءات بـ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ في القرآن الكريم – حتى تلك خارج السور الثلاث – تدور حول نفس الموضوع.

4-النداء ب ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ و﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ كان في بداية الدعوة وقبل البدء الحقيقي والكامل بواجبات النبوة من النبي ﷺ.

5-النداء ب ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ ورد في القرآن كنداء رسمي (مرتان) للنبي محتواه الرسالة وما يتعلق بها وأما النداء ب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ فهو النداء الأكثر في القرآن (15 مرة) نودي به النبي بصفته زوجاً أو حاكماً للدولة أو مجاهداً أو داعياً إلى الله أو غيرها من الحالات.

المصادر والمراجع

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله (1422هـ)، ***الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، صحيح البخاري***، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1 ، (د.م) ، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (1418هـ)، ***تفسير البيضاوي***، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1 ، بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (2002م)، ***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط1، بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

الحسيني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني (1990م)، ***تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)***، (د.ط)، القاهرة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (1985م)، ***سير أعلام النبلاء*** ، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، ط3 ، (د.م) ، الناشر : مؤسسة الرسالة.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (1407هـ)، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، ط3 ، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي.

الشاذلي، سيد قطب إبراهيم حسين (1412هـ)، ***في ظلال القرآن***، ط17 ، بيروت، القاهرة، الناشر: دار الشروق.

الطائي الجياني، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك (1982م)، ***شرح الشافية الكافية***، ط1 ، مكة، جامعة أم القرى.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (2000م)، ***جامع البيان في تأويل القرآن***، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط1 ، (د.م)، الناشر: مؤسسة الرسالة.

طنطاوي، محمد سيد (1997م)، ***التفسير الوسيط للقرآن الكريم***، ط1، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة .

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (1984م)، ***التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»***، (د.ط)، تونس، الناشر: الدار التونسية للنشر.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (1418هـ)، ***محاسن التأويل***، المحقق: محمد باسل عيون السود، ط1 ، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية.

القرشي، (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (1419هـ)، ***تفسير القرآن العظيم*** المحقق: محمد حسين شمس الدين، ط1، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت .

المالكي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (2008م)، ***توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك***، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، ط1 ، (د.م) ، الناشر: دار الفكر العربي.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (د.ت)، ***النكت والعيون (تفسير الماوردي)***، المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – مؤسسة الكتب الثقافية.

المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (1946م)، ***تفسير المراغي***، ط1 ، مصر، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (1986م)، ***المجتبى من السنن***، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط2 ، حلب، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (د.ت)، ***المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ***، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

الواحدي، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري أبو الحسن (1991م)، ***أسباب النزول*** ، المحقق: كمال بسيوني زغلول، ط1، الناشر: دار الكتب العلمية .

ابن الوراق، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (1999م)، ***علل النحو***، المحقق: محمود جاسم محمد الدرويش، ط1 ، الرياض، الناشر: مكتبة الرشد.

قائمة المراجع المرومنة:

Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail Abu Abdullah (1422 A.H.), Al-Jami Al-Musnad Al-Sahih Al-Suhaiyyah, summarized from the affairs of the Messenger of God and his Sunnah and days. Illustrated for the Sultanate by adding the numbering Muhammad Fuad Abd al-Baqi.(

Al-Baidawi, Nasir al-Din Abu Saeed Abdullah bin Omar bin Muhammad al-Shirazi (1418 AH), Tafsir al-Baidawi, the investigator: Muhammad Abd al-Rahman al-Maraashli, 1st Edition, Beirut, publisher: Dar Revival of Arab Heritage.

Al-Tha`labi, Ahmad Bin Muhammad Bin Ibrahim (2002 AD), Revealing and Explaining the Interpretation of the Quran, Edited by: Imam Abi Muhammad Bin Ashour, 1st Edition, Beirut, Publisher: Dar Revival of Arab Heritage.

Al-Husseini, Muhammad Rashid bin Ali Reda bin Muhammad Shams al-Din bin Muhammad Baha al-Din bin Manla Ali Khalifa al-Qalamouni (1990 AD), Interpretation of the Qur'an al-Hakim (Tafsir al-Manar), (d. T), Cairo, Publisher: The Egyptian General Book Authority.

Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad al-Dhahabi (1985 AD), Biography of the Nobles flags, the investigator: a group of investigators under the supervision of Shuaib Al-Arna`ut, 3rd Edition, (D.M.), publisher: Foundation for the message.

Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmed (1407 AH), revealing the facts of the mysterious revelations of the revelation, 3rd Edition, Beirut, publisher: Arab Book House.

Al-Shazly, Sayyid Qutb Ibrahim Hussein (1412 AH), in the shadows of the Qur'an, 17th edition, Beirut, Cairo, publisher: Dar Al-Shorouk.

Al-Tai Al-Jiani, Jamal Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah bin Malik (1982 AD), Sharh Al-Shafia Al-Kafia, 1st Edition, Makkah, Umm Al-Qura University.

Al-Tabari, Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghaleb al-Amili (2000 AD), Jami al-Bayan in the Interpretation of the Qur'an, the Investigator: Ahmad Muhammad Shakir, 1st Edition, (D.M.), the publisher: Foundation for the Message.

Tantawi, Muhammad Sayed (1997 AD), The Interpretation of the Holy Quran, 1st Edition, Publisher: Dar Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, Faggala - Cairo.

Ibn Ashour, Muhammad Al-Taher Bin Muhammad Bin Muhammad Al-Taher Bin Ashour (1984 AD), Al-Tahrir and Enlightenment "Liberating the Good Meaning and Enlightening the New

Mind from the Interpretation of the Glorious Book", (d. T), Tunisia, publisher: Tunisian Publishing House.

Al-Qasimi, Muhammad Jamal al-Din bin Muhammad Sa'id bin Qasim al-Hallaq (1418 AH), Mahasin al-Ta`wil, the investigator: Muhammad Basil Uyun al-Soud, i-1, Beirut, publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Al-Qurashi, (Ibn Kathir) Abu al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer al-Qurashi al-Basri then al-Dimashqi (1419 AH), the interpretation of the great investigated Qur'an: Muhammad Husayn Shams al-Din, First Edition, Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Muhammad Ali Baydoun Publications - Beirut.

Al-Maliki, Abu Muhammad Badr al-Din Hasan bin Qasim bin Abdullah bin Ali al-Muradi al-Masri al-Maliki (2008 CE), clarification of objectives and paths with an explanation of al-Alfiya ibn Malik, explanation and investigation by: Abd al-Rahman Ali Suleiman, Professor of Linguistics at Al-Azhar University, 1st Edition, (Dr. M.), Publisher: Arab Thought House.

Al-Mawardi, Abu al-Hassan Ali bin Muhammad bin Habib (d. D), jokes and eyes (interpretation of al-Mawardi), the investigator: Sayyid bin Abdul Maqsoud bin Abdul Rahim, publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Cultural Books Foundation.

Al-Maraghi, Ahmad Ibn Mustafa Al-Maraghi (1946 AD), Tafsir Al-Maraghi, 1st Edition, Egypt, Publisher: Mustafa Al-Babi Al-Halabi and Sons Library Company.

Al-Nasa'i, Abu Abd al-Rahman Ahmad bin Shuaib bin Ali al-Khorasani (1986 CE), al-Mujtaba from al-Sunan, edited by: Abd al-Fattah Abu Ghuddah, 2nd Edition, Aleppo, Publisher: Islamic Publications Office.

Al-Nisaburi, Muslim Ibn Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri (d. DT), the authentic Musnad summarized by transferring justice from justice to the Messenger of God, the investigator: Muhammad Fuad Abd Al-Baqi, (d.

Al-Wahidi, Ali bin Ahmed Al-Wahdi Al-Nisaburi Abu Al-Hassan (1991 AD), Reasons for the Descent, the investigator: Kamal Bassiouni Zaghloul, 1st Edition, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Ibn al-Warraq, Muhammad ibn Abdullah ibn al-Abbas, Abu al-Hasan, Ibn al-Warraq (1999 AD), the ills of grammar, the investigator: Mahmoud Jassim Muhammad al-Darwish, First Edition, Riyadh, Publisher: Al-Rushd Library.